

مشروعات ما بعد الحرب

كلمة الدكتور سيد كريم في افتتاح المؤتمر الهندسي الأول

ما أشبه اليوم بالأمس - الأمس البعيد القريب .

البعيد لبعده عنا ، فقد طوى عليه التاريخ صفحات ثلاثة آلاف عام ، والقريب لدورة عجلة الزمن ، التي دارت بالتاريخ ليعيد نفسه ويتعقد مؤتمرنا الهندسي الثاني بعد مرور تلك القرون الثلاثين على المؤتمر الأول ، ذلك المؤتمر التاريخي الذي عقده الملك "أختاتون" من رجال العلوم والفنون . لقد أثمر المؤتمر الأول ثمرته فوفام التاريخ حقه حينما كلل عصره بوصفه "العصر الذهبي" كما اتفق على تسميته جميع المؤرخين .

أثمر ثمرته فكان له الفضل في تلك النهضة التي ظهرت في جميع مرافق الحياة ، وذلك التطور في مختلف الفنون والعلوم ؛ في الرسم والنحت ، في العمارة والإنشاء في العمران وتخطيط المدن ، في الموسيقى والأدب . . . في العقيدة وحرية الفكر .

في بادئ "السور بالزم" و"الفوتورزم" في فنون النحت والتصوير ترجع إلى ذلك العصر ، وكثير من نظريات التحرر في العمارة والإنشاء وتخطيط المدن وجدت لها مرجعا فيما خلفته تلك النهضة من آثار . وها هو ذا مؤتمرنا الهندسي الثاني يتعقد في ظروف كثيرة الشبه بظروف المؤتمر الأول ، فكلاهما انعقد للتعمير بعد التدمير ، وللإستقرار بعد الحروب ، وجلس على عرش وادي النيل في كليهما ملك شاب . وها مؤتمر اليوم الأثرية من ثمرات كلمة الفاروق الخالدة التي وجهها إلى شباب الوادي عندما اعتلى عرشه .

ان كان عندنا ما نقدمه على منضدة البحث في مؤتمر اليوم ، فهو ذلك النداء الذي تجاوب في العالم صدهاء . . . ولم تشقه مطالب الحرب وويلاتها عن التفكير فيه والتمهيد له . . . ذلك العالم الذي أتم بطابع السرعة - في الحركة والتطور والفكر والتنفيذ . . . ذلك النداء ما سموم "بمشاريع ما بعد الحرب" .

فعلى الرغم من أن الحرب لم تنته بعد ، إلا أن كثيرا من الدول قد انتهت فعلا من بحث مشاريع ما بعد الحرب ، ووضع برامجها وإعدادها للتنفيذ ، فإذا أعددنا نحن من مشاريع وكان عندنا من الوقت نتسع أكثر من غيرنا ، لقد أخذ الغرب حضارته من الشرق ، وأخذ مكانه من ثقافة التطور ، لأنه استمر في الحركة . فلنتحرك مع العالم ، ولتكن خطواتنا معه ، فالحركة هي التي توحى بالحياة ، والحياة هي التي تكتب صفحات التاريخ .

إذا ألقينا نظرة سريعة على ما قمنا به قبل الحرب من مشروعات في جميع مرافقنا الحيوية الجديدة وما نخرج منها الى جيز الوجود ، وجدنا أن معظمها لم يثمر ثمرته المرجوة لتخطيطها المستمر بين التعديل والتبديل ، أو للتعجل في تنفيذها قبل استيفاء دراستها حتى تتفق مع مطالبنا وظروفنا من اجتماعية واقتصادية ، أو قبل وضع برامجها التنفيذية كاملة ، كما أنه لم يكن للمهندس رأى في معظمها ، ورأى في تنظيم البرنامج نفسه الذى هو أعظم أهمية من رسومات المشروع وتفاصيله الهندسية أو الزخرفية .

إن مشاريعنا الإصلاحية بصفة عامة ينقصها أهم ركن من أركان النجاح ، وهو ضمان الاستقرار وتتابع التنفيذ ، والتي يعبر عنها هندسياً "بشبكة البرنامج المفقطة" ، فأى مشروع إصلاحى كان أو عمرانى قبل أن يخرج الى طور التنفيذ يجب أن ينضج من حيث علاقة الاستهلاك بالانتاج والاستهلاك هنا هو ما يستنزف من مجهودات ومصاريف ، والانتاج هو ما يحصل عليه من نتائج عملية فعالة ، وهو ما لا يتأتى الا اذا وضع المشروع على شكل شبكة فلكية مرتبطة بالدورة والحركة ، أو تعمل على السيطرة التامة على التطور بأكمله قبل أن نضع أساس أى حجرة من حجرات المبنى يجب أن ننتهى أولاً من تصميم المبنى بأكمله .

فإذا رجعنا الى ما قامت به أية دولة من الدول التي قفزت في بضعة سنوات قفزة من جمودها لتحتل مكانها بين كبريات الدول التي احتلت العداة في قيادة العالم الحديث ونهضته ، نجد أن الفضل في ذلك راجع الى مشاريعها الكبرى التي عرفت كيف تنظم خطوات تنفيذها فتجنى ثمارها كاملة . . . وتحدد ميعاد المصاد . وهو ما أسماه بشاريع السنوات الأربع أو الخمس تبعاً لعدد السنوات التي وزع عليها تنفيذ البرنامج بأكمله ، أو مجموعة ثابتة من خطواته .

ستختلف مشاريع ما بعد الحرب عندنا عن مثيلاتها في بقية الأمم التي نريد أن نقفدى بها في وضع برامج مشاريعنا الإصلاحية والحيوية فيما يلى :

١ - في المرافق التي تأخرت عن قافلة المدينة بعدة أجيال سنحتاج الى خطوتين من المشروعات : الخطوة الأولى وتسمى بمشروعات الانتقال ، أى الانتقال من الجمود الى الحياة ، أى دفع الأمة في طريق الحركة . والخطوة الثانية دفعها في طريق النموذجية ، كما هو الحال في مشروع فترة الانتقال ، يجب أن يسبق القرية النموذجية ، وجامعة القرية يجب أن تخط قبل المدرسة المثالية .

٢ - في المشروعات المرتبطة بالمرافق سنجد أنه من الضروري لإمكان تحقيقها عملياً واقتصادياً الالتجاء الى البرامج التعاونية أو المندجة ، أى ضم عدة مشاريع في شبكة واحدة حتى يكون الإصلاح متكافئاً في جميع النواحي اقتصادياً في المصاريف والحركة الادارية والمجهودات اللازمة كالتأمين الصحى ، والثقافى والزراعى ، والتعاون الاقتصادى والاجتماعى للقرى والتي يمكن السير بها متكافئة تحت سقف واحدة كمشروع جامعة القرية .

٣ - السير بالمشاريع الاقتصادية الانتاجية "ذات الرصيد الدائن" متوازية مع المشاريع الاصلاحية "ذات الرصيد المدين" فضعف الاولى سيشل حركة الثانية ، فمشاريع اصلاح القرية مثلا يجب أن تسير متوازية مع مشاريع التحول الزراعى إلى الصناعى الزراعى ، ومشروعات التعديل والمواصلات يجب أن تسير متوازية مع مشروعات استغلال الثروة المعدنية والقوى الكهربية حتى نضمن التوازن الاقتصادى اللازم لاستمرار التنفيذ، وتسدد أحدهما دين الآخر .

٤ - الاستئثار بالمشروعات الكبرى وفصلها عن أداة الروتين الحكومى ، فيجب أن يكون هناك مثلا هيئة خاصة تستعمل برنامج التأمين الصحى وإنشاء المستشفيات من حيث وضع المشروع وتصميماته وتبضع خطوات تنفيذه حتى يخصص البحث والمسؤولية ، فتضم الهيئة جميع المختصين من رجال العلم والبحث والادارة والفن والاقتصاد على منضدة واحدة يوضع عليها المشروع ، فنضمن استمرار دورة شبكته الملكية ويبقى بعيدا عن المؤتمرات السياسية والدوافع الحزبية فلا تتغير عواملها .

والآن ماهى "مشروعاتنا لما بعد الحرب" ، تلك المشروعات التى نحن مطالبون بوضع نواتها فى مؤتمر اليوم ، واتى يجب أن نتكاتف على وضعها فى مقدمة أبحاثنا الجامعية ، ومشاريعنا الهندسية ، وأبحاثنا العامة والخاصة ، ونفرغ من وضع شبكة كل منها المتفصلة قبل نهاية الحرب حتى يودى مؤتمرنا رسالته المرجوة كاملة .

كلما تردد اسم "مشاريع ما بعد الحرب" فى الأفق ، قفز فى المقدمة مشروع "التعمير بعد التدمير" تعمير المدن التى وطأتها أقدام "مارس" آله الحرب ، تلك الأقدام التى آبت ألا أن تدك معالم العمران فى كثير من مدن العالم المتمدين ، أما عندنا فقد سلمت مدننا الكبيرة من أقدامه ، ولكن للأسف نالنا من أقدام الزمن أكثر مما نال غيرها من أقدام "مارس" نالنا من تخريب السلم أكثر مما نال غيرها من تدمير الحرب .

فليكن أول مشاريع التعمير عندنا إذا هدية المؤتمر إلى الفاروق تلك الهدية التى سيطالب كل ممارى من أعضاء المؤتمر بالمساهمة فيها وهى : "قاهرة الفاروق" .

فكما خالد التاريخ اسم قاهرة "عمرو" وقاهرة المعز "صلاح الدين" وقاهرة "محمد على" وقاهرة "اسماعيل" ، وكان كل منها رمزا لتحول عمرانى ، وتطور تخطيطى وإنشائى ، سارت به عاصمة الشرق مع خطوات التطور وقادت قافلة المدينة ، يجب أن تكون أول قرارات المؤتمر وضع مشروع "قاهرة الفاروق" ، نريد "قاهرة الفاروق" بتخطيطها المدنى الذى يهزغ العصر الحديث وجويته ، بشوارعها وبأدينها التى تسير حركته وطرق مواصلاته ووسائل نقله ، بمبانيها العامة ومنشآت حضارتها التى تمثل احتياجاتها وتخفق بروحه ، بعبارتها وطابعها الذى يجاوب ضربات نبضه ، بموائل امتدادها واتجاهات النهار بها التى تسبق بها عجلة لتطور فلا تتعثر بها ، بهالم حضارتها التى ستكتب تاريخ حاضرها وتمهد مستقبلها .

يجب أن ننفذها أوسع خطوة في تاريخها العمراني لتحقيق التماثل التي كنا نقودها في الماضي ، ذلك الماضي الذي استهوانا بحره فحسنا فيه وبقيت أقدامنا مشدودة إليه ، وصحونا لتجد التماثل قد سارت وعلينا أن نلحقها .

يجب أن تدب الحركة والحياة في أحيائها الوطنية التي بدأت تتحول معظمها إلى مقابر للأحياء ، إننا وحدنا مسؤولون عن وضع مشروع عمراني كامل يوضع له برنامج تنفيذي واقتصادي يخرجنا إلى حيز الوجود في سنوات محدودة ، فعند ما تحتفل القاهرة بعيدها الألفي نجد معالم حضارة ومدنية عصرنا ممثلة أصداق التمثيل بجانب كل عصر من عصورها التاريخية .

سنجد أنفسنا مضطرين في هذه الحالة إلى مطالبة الحكومة بالتعجيل في إخراج مشروع بلدية القاهرة إلى حيز الوجود ... تلك البلدية التي ستحمل رسالة التنفيذ بعيد ما نضع بين أيدينا خلاصة أبحاثنا .

لما كانت جلسة اليوم لا تقنع امرد مشارينا الكبرى ، أو مشارينغ ما بعد الحرب مفصلة مع بيان كيفية معالجة كل منها من جميع نواحيه ، ووضع مسقط شبكته وخطوات دورتها ، وهو ما كنت أود أن تناح لي فرصة شرح بعضها ، لذا سأكتفي الآن بتقديم ملخص سريع لتلك المشاريع التي قمت يبحث بعضها ولازلت أعالج بعضها الآخر ، وسأقدمها مفصلة ضمن أبحاث المؤتمر :

١ - بعد وضع "قاهرة الفاروق" في رأس القائمة يأتي محور الأمية ، وهو أول مشروع يجب أن ينال اهتمام الشرق بأجمعه ، ويشمل برنامج جامعة القرية الذي يجمع بين الانتقال والتطور واندماج عدة نواح من مرافق الإصلاح في إطار واحد .

٢ - تعميم المدن وتنسيقها ، وهو برنامج رغم ضخامته ، إلا أنه لو كرس كل عضو من أعضاء جمعيات المهندسين جزءا من عمله لوضع مشروع تخطيطي لإصلاح مدينة مسقط رأسه الذي سيفخر بأنه كان له الفضل في تقديم يد التنسيق والعمران إليها ، لوجدنا في النهاية مرجعا شاملا لتعمير القطر بأكمله يمكن الرجوع إليه في ضبط خطوات التطور العمراني .

٣ - البناء بعد الحرب ، فالمدينة هي البناء ، وتاريخ حضارة الأمة هو ما تخلفه من مبان ، فالانتقال من المواد الطبيعية إلى الصناعية ، ومن الصناعة اليدوية إلى الآلية ، ومن الطرز التقليدية إلى العالمية مع اتران خطوات التطور ، هي رسالة المعاري للمهارة بعد الحرب .

٤ - الفيلا أو السكن الخاص : وإطار مصيره ومدى احتكاكه بالإنتاج الصناعي الواسع المدى ، وعلاقته باقتصاديات المجتمع واحتياجاته الجديدة والتطور الاجتماعي .

٥ - التحول الصناعي ، أو الصناعي الزراعي : ومقتضياته العمرانية والانشائية وعلاقة منشآته بكل من الخامات وتوزيعها ، والقوى المحركة ومصادرهما ، مع ما يتطلبه ذلك التحول من نشأة المناطق الصناعية ، ومدن العمال واثرا في القرية وتطورها العمراني .

- ٦ - شبكة العلاج : وتوزيع المستشفيات وارتباطها بالوحدات لكافة المتقدمة وارتباط
البرنامج الإثنائي بتغيير حجم لوحات مع خطوات التنفيذ
- ٧ - التأمين الصحي ، وتكوين جيل المستقبل : الوحدات الصحية الشعبية وتوزيعها
بين الأحياء وأنواعها والمنشآت الصحية والحمامات العامة وحمامات السباحة ، والصحة المدرسية
ورعاية الطفل ، وتكون في مجموعها برنامج وقائي علاجي يسير وتوازيها مع شبكة العلاج ومكافئتها .
- ٨ - الرياضة الشعبية : وأثرها في تكوين الشعوب ثقافيا وروحيا وحضريا واجتماعيا
وقوميا وبرنامج توزيعها على القطر بأجمعه وتنظيم برامجها الانشائية والادارية .
- ٩ - الثقافة العامة : وانشاء المكتبات الشعبية والتقوية ووسائل نشر الثقافة عن طريقه
المطبوعات الشعبية والسينما والاذاعة وتشمل برامجها معاريا وانشائية واسع النطاق يسير وتوازيها
مع خطوات نحو الأمية .
- ١٠ - الأحياء الفقيرة : بين التعمير والتدمير - تطهيرها من أمراضها ونفاذها من
الانهيار وبرنامج دمجها وإعادة بنائها .
- ١١ - التعليم بعد الحرب : وإصلاح برامج الثقافة العمالية ومدد دراستها الجامعية والعنية
والصناعية والتطبيقية - حتى تؤدي كل منها رسالتها الثقافية كاملة وبإخلاص لتجسد
شعلة تاريخ الأمة المباري الحديث .
- ١٢ - المساكن الجامعية : ودور الطلبة سواء في المناطق الجامعية أو في مناطق السياحة
في أنحاء القطر حتى يجد الطالب بيتا آمنا حل يشجعه على كثرة التنقل ويجد فيها الطالب
الأجنبي مضيقة تدعوه إلى زيارة مدمر والاتصال بطبقتها .
- ١٣ - شبكة الانتقال وبرنامج انشاء لطرق : التي هي بمثابة الشرايين التي يتدفق فيها
دم الإصلاح إلى المدن الصغيرة ومنها إلى القرى ، فالمدن الكبيرة سارت مع العصر لأن المسافة
بينها وبين أوروبا وأمريكا أصبحت أقرب منها بينها وبين القرى المجبولة .
- ١٤ - طرق المواصلات ووسائل النقل : وأثرها في التخطيط المدني وانشاء الطرق
والمطارات والمنشآت اللازمة لها ، فحصر تصبح بحكم مركزها محطة التفتاء جميع الخطوط العالمية .
- ١٥ - استصلاح الأراضي : الصحراء قابلة لتحويل إلى غابات بريها بناء البحار المساح
والجزء الأكبر من الصحراء الكبرى إذا غمر بالماء فتعمل الوادي في منطقة للمطارات والأراضي
الهور لازالت تغطي من المساحة مسطحا ، ولهذا التحول وذلك الاستصلاح برامج معاريا
انشائي واسع النطاق .
- ١٦ - السياحة وتنظيم مناطقها : فعندنا من المناطق ما يمكننا أن ننافس بها كبريات
مناطق السياحة العالمية المشهورة سواء ما كان منها للتعريف أو لاستشفاء أو للرياضة أو الصيد -

عندنا سواحل البحر الأبيض والأحمر وشواطئ البحيرات والجبال والواحات وعميون الاستشفاء والأثار مما لو أحسنا استقلالها ووضعنا لها برنامجا إنشائيا وعمرائيا منظمًا لأصبحت مصدر قبلة السياحة في العالم أجمع .

١٧ - نهر النيل : الذي يعد من أجمل أنهر العالم ، يجب إعداد برنامج كامل لتجميل شواطئه وتنسيقها والاستفادة منها حتى يأتي اليوم الذي يتفنى العالم بجماله كما خلد الدانوب والفولجا والراين في ألحانه .

١٨ - آثارنا المجرية : وبرنامج المحافظة عليها ، لقد زينت بها عواصم بعض الدول الغربية ميادينها وتركها نحن ماقاة في الوديان او مقفلة في المخازن ، فالناتبة منها ستدخل ضمن برنامج هدم الأحياء الفقيرة وإعادة تنظيمها ، والمنقولة منها سنجد لها مكانا في قاهرة الفاروق ومدن القد .

تلك هي مشروعات ما بعد الحرب التي يجب أن تكون ضمن قرارات مؤتمر اليوم ، والتي يجب أن تنتهي من بحثها ودراستها قبل أن تنتهي الحرب ، فنقدم في المؤتمر التالي ثمرة ما قمتا به من أبحاث ، وما نكون قد آتمناه من مشروعات .

دكتور سميد كريم

”وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا“

(قرآن كريم)

(شاعر)

يوم العاجزين غد .